القصص

كانديلورا

CANDILORA

بقلم لويجى بيراندللو

صاحب جائزة نوبل لعام ١٩٣٤

« لم يعرف للقصص الايطالى النابغ لويجى بيراندللو ، الذى فاز بجائزة نوبل الأدبية عام ١٩٣٤ ، قصة كلاسيكية تجلت فيها مقدرته الفنية الرائعة ، وتبينت فيها نظرته الفلسفية : (هذا أو ذاك . . .) مثل ما تجلت فى هذه القصة . »

أزل المصور الفنان « نين بابا » حافة قبعته بيديه الغليظتين ساعة أن قال لزوجته « كانديلورا » : « لا فائدة ترجى . صدقينى يا عزيزتى أن لا فائدة ترجى . »

وصرخت كانديلورا مهتاجة : « وأى فائدة ترجى إذاً ؟ أفى معاشرتك ليُقضى على من الغضب والمائدة ؟ »

ورد عليها نين بابا فى هدوء : « نعم يا حبيبتى . ولكن دون أن يُقضى عليك . بقليل من الصبر . أنظرى ، سأذكر لك شيئاً . « شيكو » . . . . »

ـ « إننى أمنعك من تسميته بهذا الاسم . »

ـ « ألا تسمينه كذلك ؟»

ـ « نعم ، ولأنى أنا أسميه هكذا »

ـ « هه . . . حسن . لقد ظننت أنى أرضيك بهذا . أيجب أن أسميه البارون ؟ البارون . أريد أن أقول إن البارون يحبك يا حبيبتى كانديلورا ، ويبذل المال فى سبيلك . . . . »

ـ « فى سبيلى أنا يبذل المال ؟ يا سافل ! ألم يبذل من أجلك مالاً أكثر ؟ »

ـ « لو أنك تركت لى الكلام . . . هو يبذل المال من أجلى ومن أجلك . ولكن انظرى ، ما معنى أنه يبذل من أجلى مالاً أكثر ؟ كونى منطقية مع نفسك . إن معنى ذلك أنه لا يقدرك إلا لأنك فى ظلى الذى أخلعه عليه . هذا مالا يمكن إنكاره . »

وتميزت كانديلورا من الغضب وقالت : « ظل ؟ من شماع لمثل هذا . . » ورفعت قدميها مشيرة إلى حذائها ، ثم استطردت قائلة : « لم يلحقنى منك إلا العار ، العار ولا شىء إلا العار ! »

وتبسم نين بابا وأجاب بهدوء أكثر من ذى قبل : « كلا ، أستميحك المعذرة : إن العار يلحقنى أنا ، فيما إذا ما تكلمنا عن العار . إننى الزوج . وهذا أهم شىء ، صدقينى يا لوريتا . ولو لم أكن زوجك ، ولم تعيشى فى ضيافتى تحت هذا السقف ، لفقدت كل جاذبية ، أتفهمين ؟ هنا يمكن للجميع أن يدللوك دون أن يخشوا عقاباً . والجميع يتمتعون متاعاً عظيما بقدر ما تلحقين بى من عار وشنار . وبدونى يا لوريتا تصبحين شيئاً تافهاً شديد الخطورة ، وما كان شيكو . . . البارون ليبذل . . . ماذا أنت فاعلة ؟ أتبكين ؟ لا ، لا ، انظرى . . إننى لا أقول إلا هذراً . »

واقترب نين من كانديلورا . وأراد أن يمسك بذقنها ، ولكن لوريتا قبضت على ذراعه ، وفتحت فاها كحيوان مفترس وعضته ، وطالت عضتها دون أن تتهاون . وكانت أسنانها تغور باستمرار فى الذراع ، بينما كان هياجها يزداد . وانحنى نين حتى يمكنها من ذراعه ، وأطبق على أسنانه وابتسم هادئاً للألم المروع الذى سببته له . وازدادت عيناه ضياء واتساعاً . ولما أن انفكت أسنان كانديلورا عن ذراعه ـ وكأن حملاً قد أزيح عنه ـ أحس بأن موضع ما أكلت جرح من النار ، ولم ينبس بكلمة . وأخرج فى هدوء ذراعه من ردائه ، ولكن القميص لم يطاوعه ، إذ كان قد غرز فى اللحم الحى . وانطبعت على كم القميص بقعة من الدم ، دائرة دموية ، هى دائرة أسنان كانديلورا القوية . وكان أثر الواحدة بجانب الأخرى ظاهراً ، وأخيراً تمكن نين من إخراج كم قميصه ، والابتسامة لم تفارق وجهه الشاحب . وكانت رؤية الذراع وحدها تشيب . فموضع أثر كل سن فى الدائرة جرح . وكان اللحم المحيط بالدائرة قد اسود لونه . قال نين مظهراً لها ذراعه :

« ألا ترين ؟ » وصرخت كانديلورا ، وهى ملقاة على المقعد تتمشدق : « هكذا أريد أن أعض قلبك ! » وأجاب نين : « هذا ما أعرفه . وهذه الرغبة تفنمك بأنه أولى لك ألا تتركيني . اذهبي بالقبعة ، وأتني بصبغة اليود والشاش المعقم والرباط . جميعها فى الخانة العليا من مكتبي يالوريتا . هى الثانية من اليمين . إنني أعرف أنك حيوان صغير مفترس يحب العض ، ولهذا أحرص دائماً على الضمادات اللازمة »

وأمسكت كانديلورا بذراعه ونظرت فى عينيه وشفعتها بنظرة قصيرة إلى ذراعه ، وأعجب نين بها ساعة هذه النظرة

لكانديلورا سحر فى اللون والحركة ، وهى تشحذه للعمل . فعينا الفنان تكتشفان في هذه المرأة أشياء أبداً جديدة ومتجددة . فى هذه الظهيرة تبدو وهى فى حديقة المنزل ، وتحت شمس شهر أغسطس المحرقة ، التى تنشر ظلالاً حادة فى كل مكان ، ولها أثر مخيف . وكانت فى نفس الصباح ، حينما آبت من حمام البحر حيث قضت بضعة أسابيع محترقة الجلد سمراء اللون من فعل الشمس وملح البحر ، لون شعرها منطفىء ، وضاءة العينين أشبه ما تكون بمعز تشتهي النوم . وكانت بذراعيها العاريتين المفتولتين وبكفلها النامى تظهر فى كل حركة بسيطة أن رداءها الأزرق الحريرى الذى يناقض لون جسدها ويلتصق به يكاد يتقطع . وكان هذا الرداء مدعاة للسخرية . لقد كانت كانديلورا تقضى نصف يومها عارية تمرح على شاطئ البحر المنعزل ، وترقد بجسمها الصامد على الرمال المتقدمة من حرارة الشمس الملتهبة ، بينما كانت تشعر بنسيم البحر البارد يهب على قدميها . فكيف لهذا الرداء الأزرق أن يخفي عراها ؟ لقد ارتدته مجاملة للعرف ، ولكنه فى الواقع أظهرها فى حالة غير محتشمة أكثر مما لو كانت عارية

ومع كل ما كانت عليه من غضب لحظت فى عينيه إعجابه بها . وسرت إلى شفتيها بفعل الغريزة ابتسامة الرضا . واستاءت لساعتها من فعلتها هذه . وانقلبت ابتسامتها ضحكة استهزاء . وصارت ضحكة الاستهزاء فجأة نحيباً وشهيقاً وهربت إلى المنزل

وأخرج نين بابا لسانه لها دون وعى وهو يرقب مسيرها . ثم نظر إلى ذراعه المجروحة التى تشع ألماً محرقاً من فعل حرارة الشمس . ثم شعر فجأة أن عينيه اغرورقتا بالدموع . ومن يعرف السبب ؟ وتحت تلك الشمس المحرقة فى وسط الحديقة حيث الظلال الحادة مترامية شعر نين بابا بأنه كاد يتزعج من وجود أشياء عدة لا حراك بها من حوله : الأشجار ، وجذوع أشجار البلوط ، والأحواض المركزة على جوانبها صخور صناعية ، وسطح الماء الأخضر ، والمقاعد . ماذا تنتظر كل هذه الأشياء ؟

إنه يمكنه أن يتحرك وأن يسير . ولكن يا للغرابة ! كأن كل هذه الأشياء التى من حوله ولا حراك بها تنظر إليه . ثم هى لا تنظر إليه مجرد النظر بل ترسل إليه سخريتها فى سحر يشع من جمودها العجيب ، وصورت له أن قدرته على المسير ليس من ورائها طائل ، إلا أن تظاهره بمظهر الغباوة الداعية للسخرية

وهذه الحديقة تمثل ثراء البارون شيكو . وهنا سكن نين بابا منذ ستة شهور ، إلا أنه لم يشعر بالاشمئزاز من نفسه ومن كانديلورا إلا فى صبيحة أمس ؛ وحين آبت الساعة من البحر تجسم وزره ووزر عراها أمام عينيه . غير أنه اضطر إلى الضحك ساعة أن قالت له تهرب الآن من هذا العار . وقد أفصحت له أنها تبغى ذلك

حقاً إن صور نين بابا ستلقى رواجاً بعد الآن . وأن قيمة فنه الجديد الخاص به قد بلغت أخيراً أعلى مرتبة . وليس ذلك لأن الناس حقاً فهموه ، ولكن أمزجة الأغنياء من زوار معرضه وعقلياتهم تنقاد لحكم النقد الفنى فيقفون إزاء لوحاته معجبين

النقد ؟ وأيضاً كلمة النقد لا وجود لها فى غير سراويل النقدة . والناقد الذى قصدته كانديلورا وجلة يوماً ما ، لكى ترجمه فى وجهه بأنه غير عادل حين يؤدى بفنان مثل نين بابا إلى التهلكة جوعاً — ذلك الناقد النافذ الكلمة دون غيره ، كتب مقالاً عظيماً يلفت به أنظار المترددين إلى فن نين بابا الجديد والطابع الشخصى فيه . ولكنه طلب أجراً مقابل اعترافه بالفنان . على ألا يُدفع هذا الأجر نقداً ، بل شكراً حيوياً تقدمه كانديلورا له . ولم يكن من كانديلورا إلا أن قدمت دون تريث هذا الشكر جزيلاً . غير قاصرة على ذلك الناقد ، بل عممت هذا الشكر للذين أعجبوا بفن زوجها ، ذلك الفن الجديد . فقد ملكتها نشوة فرح لانتصار زوجها . وشكرت الجميع وبخاصة البارون شيكو ، الذى جرى فى ذلك إلى حد أن ترك للزوجين منزله ، حتى يكون له شرف إيواء فنان معذب . . .

مسكينة كانديلورا ! لقد خافت الفقر وقالت إن الفقر ليس هو الحاجة ولا الذل . وإنه ليس لها حق فيما يكسبه زوجها . ودفعتها عدم أهليتها هذه للانتقام . وعلى أى صورة ؟ منزل . سيارة . قارب

بخارى ، حلى . جواهر ثمينة ، تنزهات خلوية . أدوات زينة . مآدب . . . . ولم تشعر هى بغضب منه ، إذ بقى دون أن يتغير فى شيء . فلا هو حزين ولا هو فرح ، ولا زال مهملاً فى هندامه كما كان . وليست له بهجة فى غير ألوانه . لا يعرف مطلباً سوى التفرغ لفنه ، حتى يصل إلى القرار ، القرار المكين ، كى لا يرى شيئاً من صور الحياة الوضعية التى تحيط به

من المحتمل ، كلا ، بل بكل تأكيد أن تلك الحياة الوضعية ـ حلى لوريتا والترف والدعوات والمآدب ـ تدل على شهرته . شهرته وعاره ـ ولم لا ؟ وماذا يهمه من أمر ذلك ؟

إنه يقدم روحه وكل مافيه من حياة للمتعة بورقة يدخل عليها الحياة برسمه ، بينما يصير هو لحماً ودماً وشرايين لتلك الورقة . أو للمتعة بحجر صلب لاحس فيه ليجعله فوق لوحته حجراً حياً حساساً ، هذا كل مايعنيه

عاره ؟ حياته ؟ حياة الآخرين ؟ سباب الأجانب الذى لا فائدة من الانصات اليه ؟ إنه لا يحيا إلا لفنه ، وهو العمل الذى يتمخض عنه النور والألم ويتمثل فى روحه

وقال هذا الصباح للوريتا وكأنه فى عالم آخر إنها تعجبه ـ دون أن يعير الأمر اهتماماً خاصاً ـ حقاً إنها أعجبته ، لأنها ارتضت أن تكون شريكة مطيعة فى الحياة ، غير عابئة بالفقر ، شريكة قنوعاً راضية ، له أن يطمئن الى صدرها ، وطبيعى أن تهاجمه لوريتا كنمرة . ولكن ماذا تفعل بعد ذلك ؟ ألا تعود بصبغة اليود والشاش المعقم والضماد ؟ لقد صعدت المسكينة باكية

الآن يجب أن يحب لوريتا . ولربما كان ذلك رد فعل لعدم مبالاته . أليس ذلك جنوناً ؟ ولو أنه كان يحبها حقاً لحق عليه قتلها . عدم المبالاة هذا ضرورى ، هو المقدمة التى لامفر منها ، وليتحمل العار الذى تمثله الى جانبه . أيهرب من هذا العار ؟ كيف يمكن ذلك . وكل منهما قد رأى هذا العار ليس بعيداً عنه ولا محيطاً به بل رآه فى نفسه أيضاً . والسبيل الوحيد هو ألا يهتم كلاهما بذلك . فهو يتابع تصويره وهى توالى تمتعها بشيكو مؤقتاً ثم بغيره أو به مع غيره فى وقت واحد ، فرحة غير حاملة هماً . إن الحياة . . . لاشيء . وهى تسير على هذه الوتيرة أو تلك ، دون أن تترك أثراً . ويجب على الانسان أن يضحك من الأشياء التى ولدت خبيثة والتى ليس لها من الكيان مايغرى ، أو لها كيان ، ولكنه قبيح يجعلها تتألم الى أن تصبح رماداً مع الزمن . وكل شيء يحمل طيه آلام تكوينه ، آلام مصيره الذى لاقدرة له على تغييره . وهذا هو الجديد فى فنه ، إذ يجعل أشخاصه يشعرون بذلك الألم . وهو يعرف جيداً أن كل أحدب عليه أن يعرف كيف يحمل حدبته معه . وينطبق ذلك على الوقائع كما ينطبق على الأشخاص . فاذا ما كانت الواقعة واقعة فستبقى كذلك دائماً أبداً ، ولن تتغير . فكاندياورا مثلاً لو أنها بذلت أقصى جهدها لتصير خلواً من العار كما كانت أصلاً عندما كانت فقيرة لما استطاعت . ولعل كاندياورا لم تلك قط خلواً من العار حتى فى أيام طفولتها . وإلا لما أمكنها فعل مافعلت ، ثم هى تفرح لعملها هذا

وتحت حرارة الشمس انقبض الدم فى موضع العضلة من ذراعه ، وتجمد سطحه وازداد نبضه وانتفخت يده وتوترت شرايينه

واستفاق نين بابا من تأملاته وخطا نحو المنزل ونادى مرتين عند مدخل السلم وفى المشى :

« كاندياورا ! كاندياورا ! »

ورن صدى صوته فى الغرف الخالية ولم يجبه أحد . دخل فى الغرفة المجاورة لمحل عمله Atelier ومكتبه ، ولكنه تراجع من هول ما رأى . كانت كانديلورا منبطحة على أرض الغرفة البيضاء المفعمة بالنور . ورداؤها فى غير انتظام . وكأنها دارت حول نفسها فانكشف فخذها . أسرع اليها ورفع رأسها ، يا إلهى ماذا فعلت ؟ الفم والذقن والرقبة والصدر يضرب لونها بين السواد والصفرة : لقد شربت صبغة اليود

ثم ناداها قائلاً : « إنه لاشيء ! لاشيء ! ما هذه الفعلة الحمقاء ياحبيبتى كانديلورا . يا طفلتى . . . إنه حقاً لا شيء . إنه يؤذى المعدة طبعاً . قيء »

وحاول أن يوقفها على قدميها ؛ ولكنه فشل ، إذ أن المسكينة قد تصلب جسمها من شدة الألم . ومع ذلك لم يقل لها مسكينة ، بل قال : « طفلتى . . . ! طفلتى . . . ! » ذلك لأنه ظن أن تجرعها صبغة اليود أمر تافه مزر . « طفلتى ! » رددها ثانية ، وقال لها (ياصغيرتى الحمقاء) . وحاول أن يستر فخذها بالرداء الأزرق فقد أصاب منه نظراً ، وأدار عينيه الى الناحية الأخرى حتى لا يرى فمها الأسود

[البقيـــة على صفحة ٢٠٠]